

استراتيجية سرد القصة ومكانة التخيل فيها

د. حديد يوسف

مخبر التطبيقات النفسية والتربوية- جامعة

قسنطينة 2- عبد الحميد مهري

جامعة محمد الصديق بن يحيى- جيجل.

أهاين ياسين

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد الصديق بن يحيى- جيجل.

ملخص

هدف هذا البحث رسم الحدود المشتركة بين الأبعاد العملية لاستراتيجية سرد القصة باعتبارها طريقة حديثة مميزة ومثمرة في تعلم التلميذ وتفاعله، وتوظيف قدرة التخيل فيها والتي اعتبرت ولازالت أكثر أهمية من المعرفة. وقدم الباحث خصائص سرد القصة وعرج على أهدافها والتي من أهمها تطوير قدرة التخيل، ثم أكد كيفية تعاطي العقل المتخيل مع القصة بحيث يظهر التخيل في نمطين أساسيين، حسي وافتراضي، وكيف يمكن أن ينسجم سرد القصة مع مراحل نمو قدرة التخيل العقلي، وقبل هذا كيف ترتب عن استثمار القوة التخيلية أهداف تعليمية أخرى تزيد عن تلك التي في سرد القصة. وفي الأخير أكد البحث أن استثمار التخيل يتجاوز تحفيز القدرة الإبداعية إلى كونه أداء يتجلى في عدة مهارات تربوية دقيقة، وأن إمكانية اعتماد الاستراتيجية في سبيل استثمار التخيل أصبح أكثر من ضرورة في منظوماتنا التعليمية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية سرد القصة، التخيل، الطفل، القدرة الإبداعية، التربية.

Abstract

This article aims to draw the common borders between dimensions of the storytelling strategy process as a distinctive, modern and productive method of learning, and employing the power of imagination, which is considered as more important than knowledge. The study presents characteristics of storytelling and limps on its objectives that the foremost one is the development of imagination. Then, it focuses on how to use imaginative mind in the context of the story, and how imagination appears in two major patterns: sensual and hypothetical. Furthermore, it investigates how storytelling correlates with different stages of imagination growth, and how it can invest the imaginative power and others educational goals more than those in storytelling. Finally, research confirms that investigating in imagination exceeds the stimulation of creative ability to being reflected in the performance of several specific educational skills, and that the possibility of adopting this strategy in order to develop imagination has become more than a necessity in our modern educational system.

Keywords: storytelling strategy, imagination, child, creative ability, education.

مُقدِّمة :

يتفق جميع المهتمين بالشأن التربوي على أن الصبغة الأساسية للقرن الحادي والعشرين تتجلى في غلبة التكنولوجيا ومؤشرات الاعتماد على الآلات المتطورة والتقنيات الدقيقة، بشكل جعل التعويل على تدريس المؤهلات الفكرية والقدرات العقلية المساعدة على التحكم في تلك التقنيات واستغلالها، أكثر أهمية وأعظم نفعا من التدريب على التعلم القائم على الممارسات التقليدية والجهد العضلي. ولقد فرضت هذه الحقيقة على المدرسة أن تزيد من اهتمامها بتطوير القدرات العقلية العليا للتلاميذ، ووضعهم في مواقف تعليمية تعتمد حل المشكلات والتفكير الناقد والتفكير التأملي ثم التفاعل الإيجابي مع الموقف وتقديم البدائل واستثمار القدرات التفكيرية الإبداعية كلما سمحت الفرصة لذلك.

ولئن كانت الجهود المبذولة في هذا السياق تحاول دائما أن تصب في مجال تعليمية المواد العلمية مثل الرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية، باعتبارها مجال التطبيق الواقعي

والأقرب للتقنيات ووسائلها، إلا أن هذا لا يمنعنا من النظر إلى مواد أدبية أو بالأحرى لغوية من نفس الزاوية، لإمكانها أن تسهم هي أيضا، في تشكيل أرضية متينة ننشد عبر تعليمها تحقيق التعلم وفق تلك المستويات العليا من التفكير.

فالتدريس من خلال النصوص الأدبية، كالقصة مثلا ووفق مقاربات إبداعية من شأنه أن يضمن تفاعلا إيجابيا للتلميذ مع دلالات العبارات وأفكارها، كما يجعله مشاركا حقيقيا في توجيه معانيها نقدا وتحليلا وتركيبا. ولا يخفى أنها ميدان لتنشيط مهارات حل المشكلات ومعالجة بعض القضايا المهمة، لأنها في الواقع قضايا الإنسان، أي قضايا المتعلمين واهتماماتهم وتصوراتهم مهما كانت بعيدة في حيزها المكاني أو بعدها التاريخي أو حتى في بعدها الواقعي، وهذا التوجه ينسجم تماما مع من اعتبر المنهج الدراسي شخصي في طبيعته لأنه تطوير ذاتي لخبرة شخصية تندمج فيها التجربة الشخصية مع مقررات ونشاطات متكاملة للمنهج، لذلك يقول أهل الاختصاص بأن ثمة فرق بين منهج يخطط له من قبل الآخرين ومنهج يخطط له للآخرين (McKeruan, 2008, p. 35).

استراتيجية سرد القصة وخصائصها التربوية:

ومن بين الاستراتيجيات التدريسية المتدخلة في تشكيل تلك المناهج المطورة سرد القصة، وتقوم على تجسيد المفاهيم المجردة وتقديمها بصورة محسوسة للمتعلم، كما تهيم بيئة إيجابية تفاعلية يتم فيها تبادل المعلومات والأفكار وتساعد على تنمية البنية الذهنية للمتعلم من خلال التفاعل مع أحداث القصة وخصائصها (الجهني، 2015، صفحة 191).

إن التعليم القائم على القصة لا يرتبط بالضرورة بتدريس الفنون الأدبية بل أصبح اليوم شاملا لعدة تخصصات منها التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية وغيرها. فهذه المواد تبنى مواضيعها بناء قصصيا يمكن المتعلمين من تلقي المعلومة في قالب جديد وغير مألوف تتحدد فيه جميع أشكال المعرفة والمعلومات والحقائق التي نسعى لتوصيلها للتلميذ.

وفي السياق ذاته فإن التدريس عبر القصة لا يختص بفئة عمرية دون أخرى، بل صار يشمل المناهج الجامعية وغير الجامعية، لأن التدريس عبر القصة قد يعد شكلا من أشكال بناء المعرفة، كما قد يعد شكلا من أشكال تفسير المعرفة، ومنهم من عدّه تطبيق لتوجه نفسي معرفي يحاكي أسلوب بناء الفكر والتعاطي مع المعلومات ولا ارتقاء بها والتفاعل معها (McDrury, & Alterio, 2004).

ولقد تقرر أن الطفل ميال بطبيعته للقصة، فهو يحب سماعها، ويتشوق لقراءتها، ويحاول شهود حوادثها دون إغفال، وهذا راجع أساسا إلى أن في القصة حياة وحركية تثير الانتباه، فيتجدد بذلك نشاط التلميذ، خصوصا حينما تتسع دائرة الصور والخيال الذي يحرك فيه قوة المشاعر، ناهيك عن كونها أحداث ترسم في اتجاهات محدودة يتمكن الطفل من مجاراتها وتتبعها بكل سهولة وبكل متعة نظرا للاتساق المنطقي والتاريخي والتتابع المشوق الذي يزيد من لذة الاستماع لها أو قراءتها.

إن من أهم خصائص القصة بنائيتها ووحدتها الموضوعية، وبدايتها المحددة ونهايتها المقررة، بما يسهل تتبع فكرتها وفهم ترابط أجزائها، فلا يتشتت ذهن التلميذ ولا يجد مللا وتعبا في تتبعها جملة إلى النهاية. ثم إن من خصائص القصة أيضا أن تقدم فيها الأحداث والمعلومات مقترنة بأسبابها وهي مسألة بالغة الأهمية للتمهيد للنتائج المترتبة وفق نسق منطقي يظهر في ترابط العلاقات الزمنية والمكانية، وهذه الحقيقة تمكن التلميذ أيضا من الاستماتة في تتبع القصة وقراءتها بكل اهتمام وحماس. ومما يزيد التدريس عبر القصة تميّزا أن يتمثل الطفل نفسه في أحد أشخاصها، وهذا كفيل بإثارة مشاعر الإعجاب والسرور، أو الخوف أو غيرها من الانفعالات، ويبقى أن نشير بأن تعدد الشخصيات في القصة وتغير الأعمال وتتابع الأحداث، وترقب المفاجآت كل ذلك يجعل القصة والتدريس عبرها مصدرا قويا للإثارة والتفاعل الصادق والإمتاع والتسلية (إبراهيم، 1978).

الأهداف التربوية المنشودة من استراتيجية سرد القصة:

- بناء على ما سبق سوف يتأكد أن للقصة في المجال التربوي وظيفة راقية، وأنها تحقق أهدافا تعليمية مميزة يمكن تلخيص أهمها فيما يأتي (إبراهيم، 1978، صفحة 372):
- 1 - هي وسيلة ناجعة يستعين بها المعلم لجذب انتباه الأطفال الميالين بطبعهم للحركة وكثرة الشرود عن الدرس.
 - 2 - إن القصة وسيلة تعليمية مفعمة بضرور الثقافة والمعرفة، تكسب الأطفال خبرات حيوية ومحورية في الحياة وتطلعه على أشكال التعامل في مواقف الخير والشر.
 - 3 - والقصة سواء كانت مسموعة أو مقروءة تجعل الطفل يقظا منتبها، وفي هذا تدريب على الصبر وتوجيه الفكر نحو جهة موضوع القصة وبدل الجهد في تتبع مجرياتها، وهي مهارات ضرورية تمكن الطفل مستقبلا من تحصيل المعرفة وفق مستويات عالية من الأداء.
 - 4 - لتدريس القصة آثار خلقية وسلوكية ينتفع بها التلميذ بحيث يستثمرها من المغزى العام المحقق فيها، وهي مسألة تغنينا عن تقديم التوجيه والنصح المباشر الذي غالبا ما يستثقله الصغار.
 - 5 - وتدريس القصة من أنفع وسائل تعليم اللغة، بحيث توفر له جملة متنوعة من الأفكار والمفردات والأساليب، كما تنمي لدى الطفل مهارة حسن الاستماع، ودقة الفهم، وتوجه ذهنه للجاليات التي تحتويها اللغة، خصوصا في التشبيهات اللطيفة والأوصاف البديعة.
 - 6 - وكذلك يساعد تدريس القصة على توجيه ودفع التلميذ نحو المطالعة والقراءة والمداومة عليها، لدرجة أن التربويين يوجهون الآباء نحو تكوين مكتبة للأطفال قاعدتها القصص المتنوعة والمفيدة.
 - 7 - أخيرا تساعد القصة على تحفيز وتنشيط القدرة التخيلية لدى التلميذ، وهي القدرة العقلية الكفيلة بتنمية الإبداع، وتطوير الذاكرة، وربط الصور بعضها ببعض، مع القدرة على إعادة تشكيلها في أنساق عقلية جديدة مطورة غير مسبوق لها.

إن القدرة على التخيل هذه، حسب كثير من المختصين، فرصة عزيزة ونوعية لتعزيز مثل هذه الاستراتيجيات، وجعل التلميذ أكثر تعلقاً بموضوعات النصوص القصصية المقدمة، وأشد تفاعلاً معها. مما يضمن مبدئياً توظيف المهارات المعرفية واللغوية والتفاعلية والنفسية، ويضمن أيضاً تطوير موضوعاتها ومضامينها حسب رؤية جديدة وربما غير مسبوقة نتيجة تداخل الدلالات المكتوبة الحادثة مع تلك المتوقعة أو المأمول حدوثها.

قيمة التخيل العقلي ضمن استراتيجية سرد القصة:

صحيح أن مفهوم التخيل ارتبط سابقاً بإشارات سلبية التبتت بالوهم والفانتازيا أو حتى بأحلام اليقظة، وربما بكونه نوعاً من التفكير الأقل شأنًا، أو بأنه تقليد باهت للواقع كما أقر هذا أفلاطون ومن بعده توماس الإكويني، وهوبز وغيرهم كثير (Sepper, 2013)، إلا أنها صارت اليوم في نظر المختصين في علم النفس والتربية قدرة معتبرة لها مكانتها وأهميتها كما تؤكد البحوث والدراسات، وفي هذا السياق تشتهر مقولة آينشتاين كما في جولدستاين (Goldstein, 2015, p. 1179): "الخيال أكثر أهمية من المعرفة" لأن الخيال صار ينظر له كقدرة مرادفة للإبداع تمكننا الوصول إلى ما هو غير متوقع، ووضع الحلول الناجعة، وغير المألوفة، وأنه قدرة ذهنية مركبة تساعد الدماغ على إنتاج صور ذهنية، وأنه القدرة على إدراك العلاقات بين الأشياء المخزنة، واستنتاج شيء جديد مختلف (حمدان، 2009).

"ويمكننا الخيال من القيام بتجارب فكر، ليس في العلم فقط ولكن أيضاً في الأدب والفن والحياة بشكل عام. ويمكننا خيال الطلاب من فهم الموضوعات والإضافة إليها من خلال تجارب فكر أيضاً، ومن خلال الجمع بين الأسلوب السردى والأسلوب التصويري، ما بين الطريقة المنطقية المألوفة والطريقة الخيالية المحلقة غير المألوفة، وتقوم التربية عن طريق الخيال وتؤسس، في الفن والعلم وغيرهما، وهي تربية على طريق الإبداع، تربية على طريق المستقبل" (شاكر، 2009، صفحة 469).

وبالرجوع إلى خصائص النمو العقلي لدى الأطفال يعتبر علماء النفس أن اللعب فرصة عملية تطور فيها القدرة التخيلية وتتجلى أكثر في نوع الخيال الإيهامي حيث يتكيف الطفل مع مكونات بيئية ويعطيها الشكل الملائم لخصائص مرحلته النمائية، وكلما زاد نماء الطفل العقلي كلما قل تركزه حول ذاته إلى أن يصير التخيل ثانويا في مرحلة المراهقة المبكرة فيزداد إدراكه لعالمه الواقعي دونما إهمال للقدرة التخيلية التي تتشكل وفق منطق الشعور والتمييز بين الواقع والتمثيل (الشوربجي، 2005).

وتعتبر قدرة التخيل معينة جدا على الفهم والتذكر والإبداع. وعلى هذا الأساس اعتبرت مفهوما أساسيا في مجال التعليم يساعد المتعلمين على رؤية الأشياء على غير ما هي في الواقع، فتجاربنا تتسع أكثر مما هو مخصص للحيز المشاهد أو المتوقع، وأن التحدي اليوم يتجلى في تحقيق معرفة تساعد على تطوير معاني فريدة من نوعها، فالتلاميذ ليسوا مطالبين دائما بالوصول إلى استنتاجات معلومة لدينا بالضرورة، لا، إنهم مطالبون أكثر أن يقدموا استنتاجات غير متوقعة، وهو التحدي الحقيقي للتعليم القائم على قدرة التخيل (Duffy, 2006).

الأهداف التعليمية في استثارة قدرة التخيل عبر سرد القصص:

بالعودة إلى فكرة استثمار التخيل في دراسة النصوص القصصية للأطفال تحديدا نجد جهود كثير من التربويين قد اتجهت نحو تطوير مناهج تعليمية قائمة على استثمار هذه القدرة المميزة كما هو الحال عند ماريا مونتيسوري (Maria Montessori) والتي عدت قصص الأطفال دعامة لتطوير قدرة التخيل وتحفيزهم على المشاركة في بناء المعاني وتصور المواقف، والاستمتاع بالخبرات المتاحة، وإتاحة الفرصة للأطفال للمشاركة في تقديم المعاني الجديدة مع الاجتهاد في طرح التوقعات في نهايات القصص (McKeruan, 2008).

وللخيال دور مميز في تحقيق أهداف تعلمية جوهرية (Modell, 2003) وهي تنسجم مع تدريس النصوص القصصية على وجه التحديد فتحقق الأهداف الآتية:

- 1 - تمثيل المعلومات في الذهن وتدويرها بشكل فاعل بمجرد أن يتخيل المتعلم الموقف ويتتبع الأحداث ويحلل القضية، لأن التخيل يتطلب حصول نشاط عقلي سابق وفهم لكثير من مقتضيات النصوص. فالتلميذ الذي يتابع موقفاً محزناً لعصفورة فقدت صغارها حينما أطلق الصياد ناره عليها، يستطيع أن يتمثل ويتفاعل مع حيثيات هذا الموقف الحزين، بعدما يفهم بدقة مجريات الأحداث ويتصور الزمان والمكان وكل الأجزاء المحيطة من أشجار وعش ومظهر الصياد حاملاً بندقيته وإطلاق نار وإصابة الصغار وهروب الأم.
- 2 - يساعد التخيل على نقل اللغة المجردة والرموز والدلالات التي نستقيها من النص إلى حيز المعاني المحسوسة أو المحسوس بها حتى وإن كانت مجردة في جوهرها. فالتلميذ يطور مفهوماً خاصاً مجرداً لردود أفعال العصفورة التي فقدت صغارها، فيحاول أن يتمثل حزنها، وفي المقابل يتمكن من بناء شعور خاص به تجاه الصياد، وقد يطور أيضاً تصوراً لحجم خطورة الصيد العشوائي فتصبح المعاني الشعورية مجسدة في إطار تخيلي قد يفضي إلى انسجام عاطفي مع القصة كأنه حقيقة.
- 3 - يساعد التخيل على تطوير المادة الصعبة غير المألوفة إلى مادة مألوفة يسهل تعلمها، ففي المثال السابق قد يجد التلميذ صعوبة في فهم كيفية إصابة مجموعة من العصافير في العش بطلق ناري واحد من الصياد، غير أن تخيله الموقف وربما سؤاله المعلم وفهم معنى التشظي الذي يحدثه الطلق الناري سوف يساعد التلميذ على استدخال هذه الفكرة وجعلها سهلة الفهم.
- 4 - يمكن التخيل من تحسين ذاكرة المتعلم، واسترجاع المعلومات بطريقة يسيرة، فالتلميذ الذي نشط دماغه ببناء صور حول القصة سوف لن يجد صعوبة كبيرة في تذكر تسلسل القصة، أو ذكر أهم شخصياتها، أو وصف بعض المواقف فيها.
- 5 - يساعد التخيل على ابتكار وتطوير معان جديدة للأفكار المتعلمة، أو حتى توليد نتائج عقلية مبدعة غير مسبوق لها. ويتتبع المثال نجد التلميذ المنغمس في تخيلاته

قادرا على إبداع نهاية سعيدة للقصة رغم كونها قائمة على حدث مأساوي، كأن يتصور العصفورة وقد راحت تبني عشا جديدا بعيدا عن أعين الصيادين، وتفقس فراخا وتسعد بهم. كما يتمكن التلميذ أن يطور في هذا المقام حلا تخيليا لمنع الصيادين بعد هذه الحادثة من الصيد العشوائي ومعاقبة المخالفين منهم.

6 - يمكن التخيل المتعلم من الربط بين التعلم السابق واللاحق، فكل نص أو فكرة أو قضية ترتبط بالصيد، أو حتى بالغابة أو الأشجار أو الطيور أو الحفاظ على البيئة، سوف ترتبط لدى التلميذ مباشرة بالتجربة السابقة التي عايشها في القصة، وعليه سوف تبني مفاهيم جديدة، وسوف تطور أسئلة، وسوف تتحقق مشاهد أخرى في إدراك التلميذ وفقا لتجربته التخيلية السابقة.

استثارة قدرة التخيل عبر القصة يظهر في نمطين مختلفين:

إن التخيل في الموقف القصصي يتطور وفق نمطين مختلفين هما (الطيب، 2006):

- التخيل الحسي: ويطور داخليا، وفيه يربط الطفل بين الصورة التي اكتسبها من التجارب السابقة، كما هو الشأن بصورة العصفور الحسية في مخيلته، أو صورة الشجرة وعليها العش الصغير، أو صورة الحدث والفعل كطلق النار من قبل الصياد. ونلاحظ في هذا المقام أن مخزون الصور الذي شكله التلميذ من خلال تجاربه الحياتية السابقة سوف يعود ليبنى من جديد في نمط تركيبى فكري غير مسبوق فرضته شخصيات القصة وأحداثها وزمانها ومكانها. وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن للصور المصاحبة للقصة وألوانها وأساليب عرض الرسومات المدججة للنص قيمة كبيرة في تشكيل الصور الصعبة أو على الأقل في المساعدة على إعادة تشكيلها وتذكرها. ويلحق المختصون في علم النفس المعرفي بالتخيل الحسي كل مظاهر الصور الحركية وحتى الشعورية العاطفية الناتجة عن تمثل الموقف المثير، وعلى هذا الأساس فإن مشاعر الحزن والأسى على فراخ العصفورة، وشعور الغضب من الصياد يمكن أن يدرج ضمن هذا النوع ما دام الطفل قد أحس به

حقيقة ولو كان عقله يقر بأن القصة ليست الحقيقة، لذلك يقوم التخيل الحسي على فكرة التقبل أي تقبل المشهد التخيلي على أنه حقيقة.

- **التخيل الافتراضي:** ويقوم أساسا على افتراض شيء غير موجود في الواقع (القصصي)، ولا محسوسا به، إنه نوع من الخيال الذي نسمح فيه لأنفسنا بتطوير أشكال أو أحداث أو مواقف ليست ماثلة بين أعيننا ولا هي موجودة في قصتنا، وعلى هذا الأساس فإن التدريس عبر القصة يصير نموذجا لتطوير حدث أو مجموعة من الأحداث التي تجتمع على غير ما هو مقروء فيها، أو على غير ما هو محدد في القصة، فينظم التلميذ طريقته في إعادة جمع الأحداث وفهم تسلسلها في قالب إبداعي، ويحاول عندئذ ابتكار شخصيات أو تبديل أحداث أو حتى تصور نهايات أخرى تتماشى واستعداده النفسي لتقبل أو عدم تقبل أحداث القصة. وتجدر الإشارة في هذا المقام أن مفهوم التخيل الافتراضي لا يرتبط ضرورة بالكتابة والتحرير، وإنما يكفي فيه عامل التفكير البنائي القائم على ابتكار الموقف القصصي فقط. ولو حاولنا تتبع المثال السابق سوف نتصور التلميذ وقد افترض أن أحداث القصة المؤلمة توقفت واستبدلت بحقيقة أخرى هي أن الصياد فقد السيطرة على بندقيته وأخطأ الرمي، وأن العاصف نجت ولا زالت حية ترزق، وأنها كبرت وترعرعت في كنف والدتها. إن هذا المشهد لا شك أنه غير مطابق للصورة القصصية المعروضة، ولكنه تخيل افتراضي يجعل من تفكير التلميذ حرا غير تابع بالضرورة للنموذج المعروض، وكأنه يعيد بناء المأمول أو يعيد تجسيد المرغوب والتعامل معه كأنه واقع.

استثارة التخيل عبر القصة بداية الانسجام مع مراحل النمو لدى التلميذ:

يؤكد بياجى Piaget كما في أبو سيف (أبوسيف، 2005) أن الخيال قدرة تظهر عند الطفل بشكل كبير، وإنما تعوض التفكير في المقدمات المنطقية التي تعارض الحقائق التجريبية والتي يبقى عاجزا على توظيفها حتى سن الثانية عشرة، ورغم هذا يعتقد كثير من المختصين بأن التخيل الموجه لدى الأطفال عبر قراءة القصص يعينهم عبر التفاعل

الجاد مع الموضوع يرتبط مباشرة باستراتيجيات الاستيعاب القرائي كالتنبؤ وربط الأفكار والأحداث، وتركيب الصورة الكلية للموقف العام الذي توحى به القصة. ويمكن للتخيل عبر قراءة القصص أن يكون مصدرا مهما لتطوير المعاني وإعادة بنائها متى تمكن التلميذ من الانسجام العقلي معها وراح في الوقت ذاته يحاول الحفاظ على الرابط الفكري الذي شكله بين دلالات مصدرها الخبرة القرائية والمفهومية السابقة من جهة، وتلك المعاني التي تتشكل مع حبكة القصة وشخصياتها والتي تعكس الإضافة الجديدة المنتظرة. وبعبارة أدق إن التخيل عامل مهم في بناء المعنى، ثم إعادة بناء المعنى مجددا.

ومن خلال تتبع مراحل التفكير التخيلي لدى الطفل يمكن تمييز أنسب أنواع القصص حسبما يأتي:

1 - مرحلة التخيل الإيهامي من (3 - 5) سنوات: وفيها يكون تخيل الطفل حادا يغلبه عليه التوهم، فيجعل من الأشياء المحيطة به وبيئته ولو كانت جامدة شخصا يحدثها وتحديثه، ويتفاعل معها بصدق ودرجة عالية من الواقعية، ويقر العلماء بأن هذا النوع من التفكير مفيد جدا لنمو الطفل بحيث أنه يعينه في تطوير حركاته، وتنظيم نشاطه، وأنه بداية لتشكيل العلاقات الاجتماعية وتنظيم الأفكار البسيطة. وعلى هذا الأساس يستمتع الأطفال بسماع القصص التي تتكلم فيها الحيوانات والأشجار، والتي يصبح للجملادات فيها حيز للتفاعل مع الأحياء.

2 - مرحلة التخيل الحر من (6 - 8) سنوات: في هذه المرحلة يبدأ الطفل بتجاوز حدود البيئة إلى عالم أكثر اتساعا فيه أشكال وصور وشخصيات تتسم بالغرابة والخروج عن المألوف، إنها عوالم القصص الخيالية التي تحدثنا عن المغامرات العجيبة كتلك المبتوثة في قصص ألف ليلة وليلة، وشخصيات العمالقة والأقزام وعوالم المجهول حينما نتقل عبر زمان ومكان مفعم بالغرائب والعجائب. فالطفل في هذه المرحلة شديد التطلع إلى المجهول ويبني تصورات على أحداث تتسم بالعشوائية والبعد عن الواقعية، لذلك فاهتماماته القرائية القصصية تتأكد في هذا السياق.

3 - مرحلة المغامرة والبطولة (9 - 12) سنة: في هذه المرحلة يتعد الطفل عن عالم خيال اللاواقع إلى عالم خيال الواقع والمنطق، لذلك يظهر شغف جديد بكل ما يعكس نتيجة منطقية وواقعية لجهد كبير أو مخاطرة مذهلة أظهرها بطل قوي استطاع التغلب على الأعداء بسبب ما يحوزه من أسباب القوة، فالطفل في هذه المرحلة متعلق جدا بالقصص التي تحكي البطولات وتجسد قمة الشجاعة والمخاطرة، وتؤكد حبه للسيطرة والغلبة والمبارزة.

4 - مرحلة اليقظة الجنسية من (13 - 17) سنة: في هذه المرحلة يشارف الطفل على البلوغ الجنسي، لذلك فمن الطبيعي جدا أن تتوجه اهتماماته نحو قصص الحب والتطلع للعلاقة مع الجنس الآخر رغم أنه يشهد استقرارا عاطفيا مؤقت يمهد لمرحلة المراهقة الشديدة الحساسية. وعلى هذا يفضل التلميذ في هذه المرحلة التفاعل الفردي مع القصص ذات البعد العاطفي، ويحاول بناء مفهوم شخصي عن الجنس الآخر من خلال تلك القصص العاطفية.

من خلال ما سبق يتضح أن اختيار القصص المناسبة للأطفال حسب المرحلة العمرية بناء على نوع وطبيعة قدرته التخيلية من المهارات الأساسية التي يستوجب على المربين وواضعي المناهج التعليمية عموما العناية بها ودراستها بشكل جدي حتى تنسجم مع تلك المتطلبات وتحقق الأهداف التربوية المعرفية والنفسية المنشود من قراءة القصة. وتزيد قيمة هذا الانسجام حينما تعزز المهارات القرائية الفردية أو الجماعية بعرض الصور والرسومات المعززة لانتباه الطفل، ناهيك عن الاهتمام بتطوير المهارات اللغوية من تحدث واستماع وكتابة (Kieran, 1992).

قدرة التخيل إبداع وأداء:

ويقر خبراء التربية أن استثارة التخيل لا تحقق فقط أهدافا إبداعية عبر تطوير أشكال من الصور الذهنية الجديدة واستخدام نماذج للمقارنة وطرح أسئلة غير مألوفة، وإنما يساعد أيضا على (Duffy, 2006, pp. 38-39):

- تفعيل الجانب العاطفي في مستواه الفردي والاجتماعي، بحيث يتطور فضول التلميذ ويزيد اهتمامه بالآخرين، ويجتهد في تشكيل وجهة نظر، ويطور مشاعره تجاه الحدث ويميز المشكلة ويشعر بدرجتها ويبادر بتصوير حل مناسب لها.
- تفعيل الجانب التواصل اللغوي من خلال طرح الأسئلة والاستفسار، والقدرة على التتبع المستمر لكلمات، وربما عرض بعض المعاني الجديدة، وإعادة بناء أخرى وربط الأسباب بنتائجها من خلال تتبع دلالات الكلام وترتيبه.
- تفعيل الجانب المعرفي، ويتم عبر تطوير القدرة على الانتباه والتمييز، ومحاولة استخدام كل الحواس الموصلة لتحقيق المعنى خصوصا ما ارتبط منها بالصور والرسومات، وتفعيل القدرة على السؤال حول أسباب حدوث أشياء محددة.
- تفعيل الجانب الحسي الحركي، وذلك حينما يباشر الطفل عملية تقليد أحداث القصة، والتي تتجسد في المدرسة عبر المسرحيات، واللعب مع الزملاء وتقليد الشخصيات.

من خلال ما سبق يتجلى أن ميزة استراتيجية سرد القصة يمكن أن تزيد قيمتها وأن تتضاعف مزاياها التربوية متى اعتنينا بقدرة التخيل فيها، وأنزلنا هذه المهارة العقلية المنزلة التي تستحقها. فالمنظومة التربوية تحاول جاهدة تلطيف أجواء التعليم التي صارت مشحونة بالضغط النفسي، والتراكم الثقيل المعرفي، والالتزامات المدرسية والاجتماعية التي فرضت على المتعلمين، لدرجة أن فقدت مناهجنا التعليمية بريقها وصارت لا تستهوي الناشئة إلا بالقدر الذي يحقق النجاح والانتقال للصفوف الدراسية الموالية، أي بالدرجة التي يكف بها المتعلم شر المجتمع وسطوة سلطته.

لذلك فقد صار لزاما علينا كمختصين في المجال أن نسرع بإيجاد الحلول المناسبة العملية والناجعة ومنه إيجاد المجال الحيوي لاستنبات قدرة التخيل والتي سوف تخفف حتما ذلك الضغط وتعيد الطمأنينة للتلاميذ من أجل أن يستمر الانسجام الطبيعي المثمر بين المنهج والمتعلم، ومن أجل البقاء صامدين أمام تحديات القرن الحادي والعشرين المتفاقمة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع العربية

- 1 - أبو المجد إبراهيم، الشوربجي (2005) البناء العاملي للتخيل العقلي في علاقته بابتكارية وحل المشكلات،.مصر: جامعة الزقازيق.
- 2 - حسام أحمد أبو سيف،.(2005).الخيال عبر العمر من الطفولة إلى الشيخوخة، ايتراك للنشر والتوزيع: مصر.
- 3 - عبد الحميد، شاكر، (2009)، الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي، عالم المعرفة ، 469.
- 4 - عبد العليم إبراهيم، (1978)، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، القاهرة: دار المعارف.
- 5 - عبد الله محمود الجهني، (2015)، أثر استراتيجية رواية القصة في تنمية مهارات فهم المسموع لدى طلاب الصف الثاني ابتدائي في المملكة العربية السعودية، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد (4) العدد (1) كانون الأول، المملكة العربية السعودية.
- 6 - عصام علي الطيب، (2006)، أساليب التفكير: نظريات ودراسات وبحوث معاصرة، القاهرة: عالم الكتب.
- 7 - نصر، حمدان، (2009)، أثر النشاطات التعليمية المصاحبة الاستماع والتحصيل السابق في اللغة العربية في تنمية القدرة على التخيل لدى عينة من طلاب الصف السادس الأساسي، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، 385 - 398.

قائمة المراجع الأجنبية :

- 1 - Dennis L Sepper .(2013) .*understanding Imagination The Reason of Images*.New YorkLondon : Springer.
- 2 - Duffy, B. (2006). *Supporting creativity and imagination in the early years*. London: Open University Press.
- 3 - Jane Heal .(2003) .*Mind, Reason and Imagination*.New York: Cambridge University Press.
- 4 - Joseph L. Goldstein 10 .september, 2015 .(A Well-Hung Horse:Sired by Knowledge and Imagination .*Cell*..3-1 .
- 5 - Kieran, E. (1992). *imagination in teaching and learning Ages 8 to 15*. London: Routledge.
- 6 - McDrury, & Alterio. (2004). *learning storytelling in higher Education*. London: Taylor & Francis.
- 7 - Mckeruan, J. (2008). *Curriculum and Imagination*. London: Routledge.
- 8 - Modell, A. H. (2003). *Imagination and the Meaningful Brain*. London: The MIT Press.8.

